المحاضرة (8) نظريات علم النفس الاجتماعي:

يزخر علم النفس الاجتماعي بعديد النظريات التي تعتبر ذات فائدة بالنسبة للعلوم الاجتماعية المختلفة نحاول في هذا المحور التطرق إلى بعض النظريات

نظرية التنافر المعرفي Cognitive dissonance

تعد نظرية التنافر المعرفي (1957) من أهم النظريات التي قدمت في حقل نظريات التوافق، ولا زالت من أهم النظريات ذات الفاعلية والتأثير في هذا الحقل، وقد كان "ليون فيستينجر" 8ماي 1919-11فيفري1989 من أشهر علماء النفس الاجتماعي في فترة السبعينيات والثمانينيات، وقد ارتبطت شهرته ببحوثه وتجاربه التي تمخض عنها وضع فروض نظرية التنافر المعرفي. (بدوي، 2013، صفحة 429)

قبل التطرق لنظرية التنافر المعرفي يجب أن نشير إلى أن هذه النظرية تندرج ضمن نظريات الاتساق المعرفي هذه الأخيرة تقوم على افتراض مفاده أن الفرد بنيان معرفي متسق ومرن، ولكن تفاعل الفرد وبيئته يؤدي إلى اكتسابه معلومات جديدة تبدو غير متسقة مع بنيانه المعرفي القائم، ما يدفع آليات الدفاع إلى مقاومتها أحيانا بهدف إعادة حالة الاتساق الداخلي للبنيان المعرفي لفرد إلى ما كانت وبالتالي تحقيق حالة نفسية مريحة. (وحيد، 1421هـ-2001م، صفحة 123)

التنافر المعرفي نموذج فريد للاتجاه الإدراكي أو المعرفي في علم النفس الاجتماعي، ويؤكد هذ النموذج على المعتقدات باعتبارها المكون المركزي للاتجاهات، كما يقد لنا حلا لمشكلة تعارض الاتجاه والسلوك، طور فستينجر هذه النظرية حتى أصبحت من أهم النظريات التي تدرس في عقد الستينيات من القرن العشرين وقد أكدت هذه النظرية عل أن التناشز المعرفي هو حالة غير سارة بسبب الشد النفسي، تتولد عندما يكون لدى الشخص حالتين معرفيتين أو أكثر غير متسقة أو غير منسجمة مع بعضها البعض. (النعيمي، 2016، صفحة 135)

"إن التفاعل الذي يحصل في العناصر المعرفية تحت حالة من الضغط يؤدي إلى التخفيف من الدرجة الكلية لعم الاتساق في البنيان المعرفي والتي يسميها "هايدر" Heider اللاتوازن، ويدعوها Newcomb اللاإتساق وتدعى اللاتطابق عند "Osgood في حين يسميها Festinger "التناشر المعرفي، وإنه بغض النظر عما تكون عليه هذه المسميات، فإن ما تصف به حالة الفرد في ظل الظروف ، هو حالة الشد والتوتر تجاه الاتساق والضغط تجاه الانسجام أو التناشر النفسي." (وحيد، 1421هـ-2001م، صفحة 123)

قدم "فستنجر" نظرية التنافر المعرفي موضحا أن الفرد عادة ما تكون اتجاهاته متسقة ومنسجمة مع أفعاله وسلوكه فإذا كان الأب يؤمن بالتعليم الجامعي فمن المفروض أن يلحق أبناءه بالجامعة. ولكن قد يحدث تنافر وتباعد معرفي، وعدم اتساق بين المعرفة وبين المعلومات وبين السلوك والاتجاهات . (معوض، علم النفس الاجتماعي، 2003، صفحة 256)

"فالأشخاص دائما يسعون إلى تحقيق الاتساق داخل أنساق معتقداته من جهة وبين أنساق معتقداتهم وسلوكهم من جهة أخرى ومع ذلك يكون هنالك تنافر داخل أنساق معتقدات معظم الأشخاص كما يوجد تنافر بين عناصر أنساق معتقداتهم وسلوكهم، وعندما يمتد هذ التنافر إلى اشياء تمثل أهمية بالنسبة للأفراد، نشأ لديهم حالة من عدم الارتياح، يطلق عليها فستنجر إسم التنافر المعرفي، وهذا التنافر يمثل قوة ضاغطة، مثيرة للتوتر، تدفع الفرد إلى أن يخفض من إحساسه به أو التخلص منه، ولا يتحقق ذلك إلا بتوافر الاتساق بين أنساق المعتقدات لديه وبين صور السلوك المتصلة بها." (درويش، 1426هـ-2005م، صفحة 103)

"وتفترض نظرية التنافر المعرفي أيضا أن لكل منا عناصر معرفية تتضمن معرفة بذاته (ما نحبه وما نكرهه، وأهدافنا، وأشكال سلوكنا)، كما أن لكل منا معرفة بالطريقة التي يسير بها العالم من حوله، فإذا ما تنافر عنصر من هذه العناصر مع عنصر آخر حدث التوتر الذي يملي علينا ضرورة التخلص منه وهناك أكثر من طريقة يمكن لنا بها خفض التوتر الناتج في مثل هذه الحالة والعودة إلى حالة الاتساق . (درويش، 1426هـ-2005م، صفحة 104)

فعندما تكون المعرفة متنافرة مع الاتجاه لدى المدخن الذي يعرف أن التدخين ضار بالصحة ويعرضه للإصابة بسرطان الرئة. وللتخفيف من التنافر المعرفي قد يلجأ الفرد إلى استبدال نوع السجائر الذي يدخنه بنوع مغاير، أو قد يستخدم مرشحا لتنقية الدخان من النيكوتين الضار، أو قد يلجأ إلى القول أن غالبية الأطباء يدخنون. وأن التدخين يساعد على الاسترخاء، أو غيرها من الحجج كأن يقول أن العلم لم يصل إلى نتائج نهائية بشأن أضراره على الرئة. وبهذا يلجأ الفرد إلى تغيير اتجاهه لا إلى تغيير سلوكه. (معوض، علم النفس الاجتماعي، 2003، صفحة 256)

رأي أو سلوك متخذ ≠ الواقع نشاز معرفي خلل في الإدراك والتوازن النفسي

نشاط ذهني تلقائي لإعادة التوازن البحث عن معلومات لتبرير السلوك المتخذ أو "عقلنة" المعلومات تحقيق التوازن والرضا.

(الزغل، ب ت، صفحة 74)

توضح افتراضات النظرية أن الناس يختارون بشكل ملفت للنظر أو الأخبار أو المعلومات التي تستثير التناشز الكامن من أجل تجنبها فيما عدا: (النعيمي، 2016، الصفحات 136-137)

- لو كانت اتجاهاتهم أو منظومتهم الإدراكية قوية جدا، ومن ثم بإمكانهم الوقوف بوجه المعلومات التناشزية.
- إذا كانت اتجاهاتهم أو منظوماتهم الإدراكية ضعيفة جدا ومن ثم تبدو من الأفضل على المدى الطويل اكتشاف الحقيقة من أجل القيام بتغييرات مناسبة في الاتجاه والسلوك.

وتعتبر من ضمن مزايا وإيجابيات نظرية التناشز المعرفي أنها صيغت بطريقة واسعة وعامة جعلتها قابلة للتطبيق في مختلف الظروف ، خصوصا الظروف التي تنطوي على تغير في الاتجاهات والسلوك، فيمكن أن تطبق لفهم ما يلي: (النعيمي، 2016، صفحة 137)

- مشاعر الإحساس بالندم لدى الناس أو تغيير الاتجاه بعد اتخاذ القرار.
- الحصول على معلومات جديدة أو البحث عنها.
- أسباب بحث الناس عن دعم اجتماعي لمعتقداتهم.
- تغير الاتجاه في مواقف حيث يتعارض عمل الفرد أو قوله مع المعتقدات أو الإيديولوجيات التي يؤمن بها.

" إن ما يجعل نظرية التنافر المعرفي فريدة من نوعها هو قدرتها على تحريك التكهنات غير الواضحة، وهذه تبرز من طريقة معاملة النظرية لكيفية اتخاذ القرارات والاختيارات في ظروف الصراع النفسي، إن هذا الاتجاه له صلة وثيقة ببناء الاتجاهات، حيث أنه يشجع الناس على تغيير واحد أو أكثر من المعتقدات المتناقضة لكي ينتج عن ذلك مجموعة كلية متناغمة، والنتيجة هو استعادة الاتساق والتوازن النفسي." (النعيمي، 2016، صفحة 137).

جذورالنظرية:

تعود الدراسات المبكرة التي أجراها "فيستينجر" عام 1942 والتي تعد بمثابة الارهاصات الأولى للنظرية فقد بدأ سلسلة دراساته عن التنافر المعرفي من خلال رسالة الدكتوراهالتي اختبر من خلالها تأثير الاختلافات بين أداء طلاب الجامعة لمهمة محددة وبين الأداء المتوقع للجماعات الأخرى المشابهة لهم سواء طلاب المدارس أو الجامعات ، وكيف أثر ذلك على تحديدهم لمستوى طموحهم في أداء تلك المهمة ، وبعد ذلك أجرى دراسة أخرى عام 1947 عن تأثير الاختلافات بين أهداف الفرد من التصويت في الانتخابات وأهداف أفراد جماعته. فقد افترض "فيستينجر" عام

1957 أن الجماعة التي ينتمي إليها الفرد تعد مصدرا من مصادر التنافر المعرفي إلى جانب كونها وسيلة لتقليل التنافر في ذات الوقت، فعد الاتفاق مع أفراد الجماعة يولد الشعور بالتنافر ، كما أن محاولات الفرد لاستعادة التوافق مع جماعته يقلل من التوتر الناتج عن الشعور بالتنافر. (بدوي، 2013، صفحة 431)

وقد عرفت نظرية التنافر المعرفي العديد من المراجعات ما أدى إلى ظهور اتجاهات حديثة في النظرية حيث أثار العديد من الباحثين تساؤلات متعمقة بشأن النتائج التي طبقت فروض نظرية التنافر المعرفي والتي أجريت خلال حقبتي الخمسينيات والستينيات، وأشارت بعض التساؤلات إلى الأسباب والمتغيرات التي تتوسط العلاقة بين التنافر وتغيير الاتجاهات وتجعل التنافر يقود إلى تغيير الاتجاهات، إلى جانب أهمية البحث عن مدى وجود أسباب أخرى غير تلك التي أشار إليها "فيستينجر" تدفع الأفراد إلى محاولة تقليل التنافر ما أدى بهم إلى تقديم أطروحات بديلة لتفسير التنافر، والتي تم اختبارها لمعرفة مدى صحتها، ليتم بعد ذلك نشرها خلال السبعينيات حتى نهاية التسعينيات من القرن الماضي. (بدوي، 2013، صفحة 430)

وعلى العموم فهذه النظرية يمكن استجلاء عديد الأمثلة التي بالإمكان إسقاطها عليها سواء من خلال الأمثلة المطروحة في النظرية مثل التدخين أو غيرها من الأمثلة الملاحظة في الواقع المعيش.